فانّ ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان فى ذلك لآيات تسخير
الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها فى
الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا
تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فَعَل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا هى القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر
فانها من حيث انها نابتة على جلودها تصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة
يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر والنزول
قرأ الحجازيان والبصري يوم ظعَنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف
للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش
ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الحين مماتكم او الى ان تقضوا
منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس
وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كنّ وجعل لكم
سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين
او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعم كلّ ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم
التى تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى تنظرون فى نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه
وقرئ تَسلَمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من
الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك
البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلّغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب
يعرفون نعمت الله اى يعرف المشركون نعمة الله التى عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها
من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق
لنقصان العقل او التفريط فى النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام
مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالكفر
بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل فى الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة
ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى على ما يمنون به بعد شهادة الانبياء
عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهى الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره

اذكر

اذكروا او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم
ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين
شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم
او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا
اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم
على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا الى
الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم
وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تنصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم
من انفسهم يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا
عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شىء من امور الدين على التفصيل
او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين
التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال صلى الله
عليه وآله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى واعطاء الاقارب
ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط فى متابعة القوة
الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه فى اثارة القوة
الغضبية والبغى والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى
مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط
احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت
سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شىء
وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم
بالامر والنهى والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعنى البيعة

Copyright © King Saud University